ظاهرة الاشتقاق
وأثرها في
إثراء الدلالة اللغوية والمعجمية للمفردة القرآنية

د. حيدر علي نعمة
الجامعة العراقية / كلية الآداب

خلاصة

تناولَ هذا البحثُ ظاهرةً مهمةً من الظواهر التي أسهمتْ إسهاماً فاعلاً في توسيع آفاق اللغة الرَّحْبة، وتوجيه الدَّلالات اللغوية والمعجمية للمفردات القرآنية الكريمة؛ بُغْيةَ الوصول إلى ما يندرج تحتها من مدلولاتٍ ومعانٍ كان لها الأثرُ الفاعل في إثراء علم تفسير القرآن الكريم.. تلك هي ظاهرةُ «الاشتقاق» بما لها من طاقة ومرونة واقتدار على رَفْد مفردات اللغة العربية والقرآن الكريم بفيض مِدْرار من المعاني الكامنة في كَمٍّ محدود من الأبنية والألفاظ، فوهبتْها السَّعةَ في أسمى معانيها، وأثرتْها ثَراءً بيِّناً، وحمَّلتْها من الدَّلالات التي تجدَّدتْ معها اللفظةُ العربية مبنىً ومعنىً، ففتحتْ لها آفاقَ السَّعةِ والشمول التي تضاف إلى فضاء سعتها وشمولها الذي عُرفتْ به من قبلُ.

وقد جاء ذا البحثُ الوجيزُ على مبحثين اثنين: تناولَ الأولُ منهما ظاهرةَ «الاشتقاق» وما لها من أثر في تخليق مواد اللغة العربية وتبويبها، بينما جاء المبحثُ الثاني للانتقال بتلك الظاهرة السامية من حَيِّز النظرية الضَّيِّق المحدود إلى فضاء التطبيق الواسع الفسيح، وذلك من خلال عَرْض طائفةٍ منتقاةٍ من المفردات القرآنية المِعْطاء؛ لأتبيَّنَ – ويتبيَّنَ معي القارئُ الكريم – في ضوئها أثرَ تلك الظاهرة الجليلة في توسيع نطاق دَلالاتها اللغوية والمعجمية؛ لأنَّ كلامَ العرب – كما يقول الإمامُ الأزهريُّ – إذا اتَّفق لفظُه، فأكثرُه مشتقٌّ بعضُه من بعض.

ثم جاءتِ الخاتِمةُ لتتضمنَ مجموعةً من النتائج والحقائق التي تناولها البحثُ، تتلوها قائمةٌ بالمصادر والمراجع التي أفاد منها.

Summary

The research addressed some of the most important phenomenal Arabic language that is contributed to the enrichment the meaning of Arabic lingual and Qur'an wards, and directed the lexical and linguistic sense of the Quranic terms, in order to arrive at the senses and meaning of it, therefore it has more effective role to enrich the Qur'anic explication..This phenomenon is called "the derivation of lingual word" this phenomenon leads to make limited numbers of words structure to participate in enlargement of the meaning of holly Quran words.

This research includes two parts: the first of it include the derivation of lingual Arabic words phenomenon and clarification the most important role of it in create the new meaning of Arabic language words and there categorization, while the second part includes many examples of Qur'anic words make this phenomenon lucid to anyone want to identify to this Qur'anic phenomenon.

Conclusions came to list the most important results that addressed the research, followed by list of sources and references that have served

مقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين قائد الحقِّ وهادي الخلق محمَّد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه وأحبابه ومن سار على هديه وٱتبع خطاه إلى يوم الدين.

أما بعد؛

فقد ٱتخذ الإسلام العربية لساناً له، فإذا كان الإيمان به هداية ونوراً؛ كان الإسلام من ذلك النور طبيعته وحقيقته، وكانت اللغة العربية منه المظهر الذي تراه العيون، والصوت الذي تسمعه الآذان، والمسرب الذي يسلك به إلى القلوب والأذهان، وكلُّ معنىً مُستنبط من القرآن الكريم إنْ لم يكن جارياً على اللسان العربي؛ فليس من القرآن، ولا من علومه في شيء؛ إذ لا غناء ولا ٱكتفاء لعلم من علوم الشريعة عن العربية؛ وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية: فقهها، وكلامها، وعلمَيْ تفسيرها وأخبارها.. إلا وٱفتقاره إليها وتعويله عليها بيِّنٌ لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنَّع..

وهذا يحتِّم على دارس أيٍّ من علوم هذا الكتاب أن يكون ذا زادٍ طيب في علم اللغة العربية، يتمكن من خلاله من تجشُّم عناء الطريق الذي ٱرتاده بغية الوصول إلى منتهاه بسلام.. ولا غرو؛ إذ تعدُّ لغتنا العربية من أكثر لغات الأرض – إنْ لم تكن أكثرها – تطوُّراً في تقاليب مفرداتها، ودلالات ألفاظها.. ومن هنا؛ كان للكلمة، والجملة، والتركيب، والسياقات العامة في العربية قلباً نابضاً، وحياة متطوِّرة، متجدِّدة، وهي أبداً في حركة دائبة في أداء رسالتها، وتغيُّرٍ دائم في تصريف دلالاتها، وتجدُّدٍ مستمرٍّ في طرائق ٱستعمالها.. ومع كلِّ تلك التقلُّبات والتبدُّلات؛ فقد حُفَّت تلك اللغة الخالدة من بين سائر لغات الأرض بعناية إلهية حملتْها بأجنحتها الهفهافة الرِّقاق إلى حيث نجوة ودار أمن من المطبَّات الخطيرة، والأطوار المتذبذبة، والمخاضات العسيرة التي طالتْ أخدانها من اللغات الأخرى؛ فخرجتْ معافاة قد حافظتْ على قالبها الرئيس الذي صُبَّت فيه منذ البداية، وٱحتفظتْ بملامحها الرئيسة، وسلمتْ لها سماتُها الأساسية التي ٱرتسمتْ بها وعُرفتْ..

وقد كان للقرآن الكريم أثناء تلك الرحلة المباركة أثر عظيم في اللغة العربية، وإليه ترجع نشأة علومها كافة، من نحوٍ وصرف ولغة ومعجم وبلاغة وغيرها؛ فكان المصدر الأول للعربية، وكان كتابها الأكبر؛ فأضفى على مفرداتها ٱتجاهاته الفكرية الجديدة، وحمَّلها من الدلالات التي تجددت

معها اللفظة العربية مبنىً ومعنىً، وفتح لها آفاق السعة التي تُضاف إلى فضاء سعتها الذي عُرفتْ به قبل ذلك اللقاء الميمون..

كثيرة هي الظواهر التي تسهم إسهاماً فاعلاً وتلعب أدواراً طيبة في توسيع آفاق اللغة وتوجيه الدلالات اللغوية والمعجمية للمفردات القرآنية، وبالتالي التوصُّل إلى مقاربات لغوية على شكل قوالب شبه ثابتة ومُطَّردة إلى حدٍّ بعيد لفهم ما ينطوي تحت أكنافها من معانٍ ومدلولات، وبلوغ مراميها الرسالية وغاياتها الإبلاغية في علم اللغة العربية وعلم تفسير القرآن الكريم على حدٍّ سواء..

وظاهرة «الاشتقاق» واحدة من أسخى منابع العطاء الثرّ وروافد الثراء المعطاء تلك؛ إذ يُصاغ الأصل اللغوي للمفردة اللغوية والقرآنية بوساطتها على هيئة أو هيئات تأخذ بأيدينا إلى حيث مستقرِّها اللغوي ومستودعها الدلالي، وتُشكِّل علاماتٍ هاديةً ترباً بالقارئ أو المتدبِّر عن سبيل التِّيه والضلال في بوادي التمويه أو الاحتمالات أو الغبش واللاوضوح..

وبذا كان واحداً من أبرز تلك المنابع المتفجِّرة بكنوزٍ هائلة دفينة من السعة في ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها: ظاهرة **«الاشتقاق والرَّوابط الاشتقاقية»** وتقليب مفردات اللغة وسباحتها ودورانها في أفلاك فسيحة حول أُصولها التي تشدُّها إليها وتجذبها بقوة، وتمنعها من الانفلات والضلال في متاهات فضاءات لا حدَّ لحدِّها، ولا ضابط لتصرُّفها أو تصريفها؛ فاحتفظتْ بذلك على القوالب التي صُبَّت بها من أول يومٍ أبصرتْ فيه نور الحياة وٱضطلعت بأداء رسالة المعنى السامية، وهي باقية كذلك إلى اليوم، وستبقى ما بقي القرآن الخالد، وما بقيت العربية المعطاء..

ودراستُنا هذه ستسلِّط الضوء ساطعاً على ما لتلك الظاهرة الخلاَّقة من طاقة وٱقتدار على رفد مفردات اللغة العربية والقرآن الكريم بفيض مدرار لا يعرف الغيض ولا الإقتار من المعاني المكنونة في كمٍّ محدود من الأبنية والألفاظ؛ فوهبتها السعة في أسمى معانيها، وأثرتها ثراء بيِّناً، وما لها من محافظة على سمات تلك اللغة ومواكبتها للتطوُّرات التي لا يُعرف لها قرار، ومن تصدٍّ بطوليٍّ لكلِّ متربِّص رابض على تخومها من المعاني والمصطلحات الوافدة والدخيلة على أسوار تلك اللغة المنيعة وكتابها المصون.. فأقول وبالله التوفيق:

المبحث الأول

الاشتقاق والروابط الاشتقاقية وأثرها في تخليق مواد اللغة وتبويبها

«**الاشتقاق**» في اللغة: أَخْذُ شيء من شيء.. قال ٱبن منظور رحمه الله: ((ٱشتقاق الشيء: بنيانه من المرتجل، وٱشتقاق الكلام: الأخذ فيه يميناً وشمالاً، وٱشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه))(١)، أما تعريفُه في الاصطلاح؛ فقد عُرِّف الاشتقاق بتعريفات عدَّة؛ منها أنه أَخْذُ صيغة من أُخرى مع ٱتفاقهما معنىً ومادَّة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدلَّ بالثانية على معنى الأصلية بزيادة مفيدة؛ لأجلها ٱختلفا حروفاً وتركيباً أو هيأة(٢)..

فالاشتقاق إذاً ((ظاهرة أصلية في اللغة العربية تحدُث ضمن منهج عمليٍّ تطبيقيٍّ يقوم على أساس العلاقة الوضعية بين الدالِّ والمدلول التي ٱفترضها علماء العربية الأوائل... وهو نوع من القياس اللغوي للمفردات ينتفع منه مُتكلِّمو اللغة في سدِّ حاجاتهم إلى الألفاظ التي تخدم المعاني المُعبَّر عنها... وهو عبارة عن توليد لبعض الألفاظ من بعض، والرُّجوع بها الى أصل واحد يُحدِّد مادَّتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل، مثلما يوحي بمعناها الخاصِّ الجديد.. ويعود سبب الاشتقاق الى طبيعة اللغة العربية بكونها لغة ٱشتقاقية تستطيع إثراء نفسها بزيادة مفرداتها؛ لتتمكن من قوة التعبير ومواكبة الحداثة في جدَّة الموضوعات))(٣)، وإنه بهذه الصورة ليعدُّ بحقٍّ إحدى الوسائل الرائعة والمبتكرة في نموِّ اللغة ومرونتها وٱتساعها وثرائها في المفردات؛ ما يُمكِّنها من التعبير عن المستجدِّ من الأفكار، والمستحدث من وسائل الحياة(٤)..

فهذه الوسيلة – إذاً – لا تزال تمدُّ اللغة بالكثير من الألفاظ؛ لأنَّ الحاجة إليها شديدة ومُلحَّة في مختلف العصور كالحاجة إلى المجاز في إمداد اللغة بروافد عديدة وفيض دافق للمعاني؛ وذلك بسبب الصناعات والمخترعات والمستحدثات الجديدة؛ بحيث يفتح لنا الباب أمام الكثير من الألفاظ السهلة والرشيقة التي يمكن أنْ تسدَّ هذا التطوُّر الحضاريَّ المستمرَّ؛ فهو يعدُّ بحقٍّ «**طريق السعة**»

---

(١) لسان العرب (١٠/ ١٨١).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزَّجّاج (١/ ٣٨)، والاشتقاق وأثره في النمو اللغوي/ ص١٥.

(٣) الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين اللغويين والبلاغيين/ ص٦٧– ٦٨.

(٤) ينظر: فصول في فقه العربية/ ص٢٩٠.

التي تجوزها الألفاظ وتمرُّ عبرها؛ لتصل بسلام إلى فيضها الدلالي المدرار ذي الأفنان الكثيرة الملتفَّة والفنون الغزيرة المحتفَّة ذوات الفوائد الكبيرة الجمَّة(١)!!

إنَّ الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فُرادى منعزلات؛ بلْ مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسرٍ وقبائل.. وللكلمة جسم وروح، ولها نسب تلتقي من خلاله مع مثيلاتها في مادَّتها ومدلولها.. فخاصية «**الاشتقاق**» من أعظم ما ٱمتازتْ به العربية؛ فبالاشتقاق عملتْ على زيادة موروثها اللفظي والمعنوي كلَّما تقدَّم الزمن.. والبحث في تاريخ معاني الكلم وأُصول ٱشتقاقها موضوع شائق، له في اللغات الحية شأن أي شأن!!

إنَّ ميزة «**الاشتقاق**» في العربية قد أكسبتْها ثروة من الألفاظ لا تتعاند؛ بلْ تتساند، ولا تتناهى؛ بلْ تتنامى على مرِّ العصور، وأضفتْ عليها مرونة تستجيب بها لمقتضيات العصر والحياة وما يستجدُّ فيها من معانٍ وأفكار وأدوات ومُخترعات.. حتى بلغت المشتقات المحضة فيها سبعين ألفاً من الكلمات(٢)، ((وإنَّ الوزن هو قوام التفرقة بين أقسام الكلام في العربية، وإنَّ اللغات السامية التي تشارك هذه اللغة في قواعد الاشتقاق لم تبلغْ مبلغها في ضبط المشتقَّات بالموازين التي تسري على جميع أجزائها، وتوفِّق أحسن توفيق بين مبانيها ومعانيها))(٣)..

ثمَّ ((إنَّ العودة إلى الجذر الأصلي للكلمة قد يساعد إلى حدٍّ بعيد في الكشف عن معالمها، ومعرفة الجذر تتَّصل ٱتصالاً وثيقاً بالاشتقاق وطرقه في اللغة، وهو بشكل عامٍّ الوسيلة التي تتحقَّق بها الصلة بين كلمات اللغة، وهذه الصلة قوامها ٱشتراك الكلمات في جذر واحد ثابت لا يتغير؛ وهو ما يُعبِّر عنه المعجميون باسم «**الاشتراك في المادَّة**»؛ إذ يجعلون حروف هذا الجذر مدخلاً إلى شرح معاني الكلمات ودلالاتها التي ترجع إلى جذر أو أصل واحد ثابت هو في الحقيقة يُشكِّل البنية الأساسية للكلمة))(٤)..

وما من شكٍّ في أنَّ هذه الطريقة في تخليق الكلمات وتولُّدها بعضها من بعض تجعل من اللغة جسماً حياً تتوالد أجزاؤه، ويتَّصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة تغني عن عدد ضخم من الكلمات المفككة المنعزلة لو لم يكن الاشتقاق على هذه الصورة يربط بينها!! هذا من ناحية.. ومن ناحية أُخرى؛ فقد كان لوجود الاشتقاق في العربية على هذه الصورة شأنٌ كبير في تحديد أصالة الكلمات فيها، وسبيلاً لمعرفة الأصيل من الدخيل؛ لأنَّ الكلمة الدخيلة في العربية تبقى

---

(١) ينظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة/ ص٢٦٧.

(٢) ينظر: الاشتقاق والتعريب/ ص٩.

(٣) اللغة الشاعرة/ ص١٢.

(٤) الكلمة – دراسة لغوية معجمية/ ص٦٧.

غالباً في معزل عن سلسلة المشتقَّات المتجانسة المترابطة؛ إذ لا نجد لها أصلاً لا من ناحية البنية، ولا من جهة الدلالة يمكن أن نُلحقه بها أو نلحقها به إلا ما تعسَّف اللغويون فيه!!

وهكذا يمكن تصنيف الكلمات العربية بحسب موادِّها وأصولها؛ كما فعل أصحاب معجمات الألفاظ العربية.. كما يمكن تصنيفها بحسب صيغها وموازينها⁽¹⁾؛ إذ تشترك الألفاظ المنتسبة إلى أصل واحد في قدر من المعنى؛ وهو معنى المادَّة الأصلية العام⁽²⁾، فكيفما جُمعتْ ألفاظ العربية؛ ٱتضحتْ روابطها الاشتقاقية أو وظائفها الصرفية على نحو مُطَّرد، وقواعد راسخة، وأوزان وصيغ تكشف عن معانيها؛ مما يعدُّ مزية للعربية لا تتوافر لغيرها من سائر اللغات الأُخرى، وبهذا الأسلوب المبتكر أيضاً، وبهذه المرونة عُولجتْ مسألة المصطلحات..

ومع أنَّ العربية ٱعتمدت الموازين والقوالب المتماثلة لكثير من المعاني؛ فإنَّ ذلك لم يُؤثِّر في وفرة مفرداتها ولم يحُلْ بين العربية وبين ولوجها أبواب السعة في أسمى معانيها، وإشرافها على عالم الفيض الدلالي الفسيح؛ فهي غنية بهذه الموازين على نحوٍ لا يتأتى لغيرها من اللغات.. فمزية الاشتقاق عادتْ على العربية بفوائد كبيرة، ومكاسب جمة؛ إذ وثَّقت الصلة بين مفرداتها قديمها وحديثها، ومكَّنت الدارسين من إدراجها في أدراجٍ مُتماثلة وحقول متكاملة ومجموعات متشابهة تُمكِّنهم من إدراك مفرداتها بعد الاطِّلاع على بعض مشتقاتها، فضلاً عن ٱكتشاف الدخيل من الكلمات المتسرِّب في صفوفها⁽³⁾..

إنَّ الروابط الاشتقاقية في اللغة العربية نوع من التصنيف للمعاني في كلِّيَّاتها وعمومياتها، وهي تُعلِّم المنطق وتربط أسماء الأشياء المرتبطة في أصلها وطبيعتها برباط وثيق واحد، وهذا يحفظ جهد المتعلِّم، ويُوفِّر وقته.. إنَّ خاصية الروابط الاشتقاقية في اللغة العربية تهدينا إلى معرفة كثير من مفاهيم العرب، ونظراتهم إلى الوجود، وعاداتهم القديمة، وتوحي بفكرة الجماعة وتعاونها وتضامنها في النفوس عن طريق اللغة.. وإنَّ ٱشتراك الألفاظ المنتمية إلى أصل واحد في أصل المعنى، وفي قدر عام منه يسري في جميع مشتقَّات الأصل الواحد مهما ٱختلف العصر أو البيئة، يُقابله توارث العرب لمكارم الأخلاق والمثل الخلقية والقيم المعنوية جيلاً بعد جيل.. إنَّ وسيلة الارتباط بين أجيال العرب هي الحروف الثابتة والمعنى العام⁽⁴⁾..

---

(١) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية/ ص٢٧١.

(٢) وهو الذي عني به ٱبنُ فارس أيَّما عناية في مقاييسه، وجعله المحورَ الرئيس لمعجمه الكبير وموسوعته الفذَّة.

(٣) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغة العربية/ ص١٢، و٣٨.

(٤) ينظر: المرجع نفسه/ ص٦– ٧، واللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص٦.

المبحث الثاني

نماذج قرآنية تطبيقية لظاهرة «الاشتقاق»

بعدما تعرَّفنا على ما لظاهرة الاشتقاق وروابطه الوثيقة المُحكمة من أثرٍ لا يتوارى في تخليق الكلمات وتولُّدها بعضها من بعض، وإدراجها في أدراجٍ مُتماثلة وحقول متكاملة ومجموعات متشابهة تُمكِّن الدَّارسين من إدراك مفرداتها بعد الاطلاع على بعض مشتقَّاتها.. يطيب لي الانتقال بتلك الظاهرة السامية من حيِّز النظرية المحدود إلى فضاء التطبيق الفسيح؛ عبر ٱستعراضي لطائفة مُنتقاة من المفردات القرآنية المعطاء، نتبيَّن في ضوئها أثر تلك الظاهرة المقتدرة في توسيع نطاق دلالاتها اللغوية والمعجمية؛ من خلال ما ترفدها به من روابط ٱشتقاقية محكمة قد ٱستمسكتْ منه بالطرف الأوثق، وما تمدُّها به من فيض معينها النَّضَّاخ الذي لا ينضب، فاكتسبتْ منها الرحابة والمرونة والرونق، وٱكتستْ من حليها بصبغاتها الأخَّاذة، وٱزدانتْ بأطياف موشورها البرَّاقة.. ((وكلامُ العرب إذا ٱتفق لفظه؛ فأكثره مشتقٌّ بعضُه من بعض))(١):

- «اللـه»: فمن ذلك: ((المعركة الكبيرة التي خاضها علماء العربية في لفظ الجلالة «**الله**» أهو مُرتجل، أم مشتق(٢)؟؟ وإنْ كان مشتقاً، فهل ٱشتقاقه من: «**أله**»، أم من: «**وله**»، أم من: «**لاه**»؟؟ وما هو أصله على كلٍّ من هذه الأوجه؟!! وماذا جرى عليه من الحذف والإدغام حتَّى بلغ صورته التي هو عليها؟!!))(٣)، قال الفخر الرازي رحمه الله: ((المختار عندنا أنَّ هذا اللفظ ٱسم علم لله سبحانه وتعالى، وأنه ليس بمشتقٍّ ٱلبتة، وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر

---

(١) تهذيب اللغة (٥/ ١٧٧)، وينظر: لسان العرب (١١/ ٦٢٨).

(٢) قال ٱبنُ القيِّم رحمه الله: ((زعم أبو القاسم السهيلي وشيخه ٱبن العربي أنَّ ٱسم الله سبحانه وتعالى غير مشتقٍّ؛ لأنَّ الاشتقاق يستلزم مادة يشتقُّ منها، وٱسمُه عزَّ وجلَّ قديم، والقديم لا مادة له؛ فيستحيل الاشتقاق!! ولا ريب أنه إنْ أُريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمدٌّ من أصل آخر؛ فهو باطل.. ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألمَّ بقلوبهم؛ وإنما أرادوا أنه دالٌّ على صفة له جلَّ شأنه – وهي الإلهية – كسائر أسمائه الحسنى؛ كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير.. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء؛ فهو جواب القائلين باشتقاق ٱسم الله جلَّ في علاه.. ثمَّ الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها مُلاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أنَّ أحدهما تولَّد من الآخر؛ وإنما هو باعتبار أنَّ أحدهما يتضمن الآخر وزيادة... فالاشتقاق هنا ليس هو ٱشتقاقٌ ماديٌّ؛ وإنما هو ٱشتقاق تلازُم... ولا محذور في ٱشتقاق أسماء الله سبحانه وتعالى بهذا المعنى)) [بدائع الفوائد (١/ ٢٧)].

(٣) هل توجد في القرآن كلمات معربة؟؟ «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد الثامن/ ص٢١٥.

الأصوليين والفقهاء))⁽¹⁾، وذهب إلى هذا جماعة، وٱختاره الغزالي، وقال: «كلُّ ما قيل في ٱشتقاقه؛ فهو تعسُّف.. وقيل: مشتقٌّ من التألُّه؛ وهو التعبُّد.. وقيل: من الولهان؛ وهو الحيرة!! لتحيُّر العقول في شأنه.. وقيل: أصله: الإله، ثمَّ حُذفت الهمزة ونُقلتْ حركتها إلى اللام، ثمَّ وقع الإدغام وفُخِّمتْ للتعظيم؛ إلا إذا كان قبلها كسر⁽²⁾، وجاء في «القاموس المحيط» لمجد الدين الفيروزآبادي رحمه الله: ((«**أله ألاهة، وألوهة، وألوهية**»: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة.. وٱختلف فيه على عشرين قولاً ذكرتها في المباسيط، وأصحُّها أنه عَلَمٌ غير مُشتقّ))⁽³⁾..

فأصل هذا اللفظ الجليل: «إله» في قول أهل الكوفة.. وقال أهل البصرة: أصلها: «لاه».. وقال قوم: هو من «**الإله**»؛ وهو الاعتماد، يقال: ألهتُ إلى فلان آله إلهاً؛ أي: فزعت إليه وٱعتمدت عليه.. ومعناه: أنَّ الخلق يفزعون ويتضرَّعون إليه في الحوادث والحوائج؛ فهو يألههم؛ أي: يُجيرهم؛ فسُمِّي إلهاً، كما يقال: «**إمام**» للذي يؤتمُّ به، و«**لحاف**»، و«**رداء**»، و«**إزار**»، و«**كساء**» للثوب الذي يُرتدى ويُلتحف به.. وهذا معنى قول ٱبن عباس والضَّحَّاك.. وقال أبو عمرو بن العلاء: هو من: «ألهت في الشيء»؛ إذا تحيَّرت فيه؛ فلم تهتد إليه.. ومعناه: أنَّ العقول تتحيَّر في كنه صفته وعظمته والإحاطة بكيفيته؛ فهو إله.. كما قيل للمكتوب: «**كتاب**»، وللمحسوب: «**حساب**».. وقال المبرد: هو من قول العرب: «**ألهت إلى فلان**»؛ أي: سكنت إليه.. فكأن الخلق يسكنون إليه ويطمئنُّون بذكره⁽⁴⁾..

وقال بعضهم: أصله من «**الوله**»؛ وهو ذهاب العقل؛ لفقدان من يعزُّ عليك.. وأصله: «أله»؛ بالهمزة؛ فأُبدل من الهمزة واو؛ فقيل: «**الوله**»، مثل: «**إشاح ووشاح**»، و«**أرَّخت الكتاب وورَّخته**»، و«**ووُقَّتتْ وأُقّتت**»؛ فكأنه سُمِّي بذلك لأنَّ القلوب توله لمحبته وتضطرب وتشتاق عند ذكره.. أو أنَّ الخلائق كلهم أجمعين والِهُونَ نحو بارئهم؛ أي: محتاجون إليه في المنافع والمضارِّ، مُتَّجهون نحوه يرجون ما عنده؛ إما بالتسخير فقط؛ كالجمادات والحيوانات، وإما بالتسخير والإرادة معاً؛ كبعض الناس!! وعليه قوله جلَّ جلاله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ٤٤﴾ [سُورَةُ الإِسۡرَاءِ].. وقيل: معناه: محتجب؛ لأنَّ العرب إذا

---

(١) مفاتيح الغيب (١/ ١٣١– ١٣٢).

(٢) البحر المديد (١/ ٥)، وينظر: جامع لطائف التفسير/ ص٤٨.

(٣) القاموس المحيط (١/ ١٦٠٣).

(٤) الكشف والبيان (١/ ٩٥).

عرفت شيئاً ثم حجب عن أبصارها؛ سمَّته إلهاً، يُقال: لاهت العروس تلوه لوهاً؛ إذا حُجبتْ، وفي هذا الاشتقاق إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ]، وهو المشار إليه بـ«الباطن» في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ].. وقيل: معناه: المتعالي، يقال: «**لاهَ**»؛ أي: ٱرتفع.. وقال قوم: هو مأخوذ من «**الإلاهتك**»؛ وهي قدرته على الإخضاع، من «**ألههم**»؛ أي: أحوجهم؛ فالعباد مولوهون إلى بارئهم؛ أي: محتاجون إليه في المنافع والمضار، كالواله المضطرّ المغلوب.. وقيل: هو مأخوذ من قول العرب: ألهت بالمكان؛ إذا أقمت فيه.. فكأنَّ معناه: الدائم، الثابت، الباقي.. وقيل غير ذلك(١)..

وفي ذلك كلِّه يقول الفقيه محمَّد سيِّد بن أبت اليعقوبي الشنقيطي رحمه الله(٢):

«الله» مشتقٌّ، وقيل: مرتجل   وهو أعرفُ المُعرَّفات جلّ
أله؛ أي: عبد، أو من الأله   وهو ٱعتماد الخَلْق، أو من الوله
أو المُحجَّب عن العيان   من: لاهت العروس في البنيان
أو أله الحيران من قول العرب   أو من: ألهتُ؛ أي: سكنتُ للأرب

- «الآية»: ((وأما الآية؛ فهي العلامة؛ بمعنى إنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وٱنفصاله؛ أي: هي بائنة من أُختها ومنفردة.. وتقول العرب: بيني وبين فلان آية؛ أي: علامة، ومن ذلك قوله جلَّ جلاله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ ﴿٢٤٨﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ](٣)، وقيل: سُمِّيت آية؛ لأنها جماعةُ حروفٍ من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بآيتهم؛ أي: بجماعتهم.. وقيل: سُمِّيت آية؛ لأنها عجب يعجز البشر عن التكلُّم بمثلها.. وٱختلف النحويون في أصل «**آية**»؛ فقال سيبويه: «**أَيَيَة**»؛ على «**فَعَلَة**»؛ مثل: أكمة وشجرة، فلما تحرَّكت الياء وٱنفتح ما قبلها؛ ٱنقلبت ألفاً؛ فصارت: «**آية**» بهمزة بعدها مدَّة.. وقال الكسائي: أصلُها «**آيِيَة**» على وزن «فاعلة»؛ مثل «**آمنة**»؛ فقُلبت الياء ألفاً؛ لتحرُّكها وٱنفتاح

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (١/ ٩٦- ٩٨).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٨).

(٣) ومنه أيضاً قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ].

ما قبلها، ثمَّ حُذفتْ؛ لالتباسها بالجمع.. وقال الفرَّاء: أصلُها «**أَيِيَّة**» بتشديد الياء الأولى؛ فقُلبتْ ألفاً؛ كراهة للتشديد؛ فصارتْ «**آية**»، وجمعُها: آي، وآيات، وآياء))[١]..

قال الراغب الأصفهاني في «**المُفردات في غريب القرآن**»: ((وٱشتقاق الآية إما من «**أيّ**»؛ فإنها هي التي تُبيِّن أياً من أيٍّ.. أو من قولهم: «أوى إليه».. والصحيح أنها مشتقَّة من التأيِّي الذي هو التثبُّت والإقامة على الشيء.. يقال: تأيَّ؛ أي: ٱرفقْ.. والتأيِّي: التنظُّر والتُّؤدة، يقال: تأيا الرجل؛ إذا تأنى في الأمر.. أو من قولهم: أوى إليه))[٢]..

❖ «السورة»: وأما ((معنى السُّورة في كلام العرب؛ فهو الإبانة لها من سورة أُخرى وٱنفصالها عنها.. وسُمِّيت بذلك؛ لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة.. قال النابغة الجعدي رضي الله عنه:

ألـم تَـرَ أنَّ الله أعطـاك سـورةً   تـرى كـلَّ مُلْـكٍ دونهـا يتذبـذب))[٣]

أي: منزلة شرف ٱرتفعتْ إليها عن منزل الملوك.. قال ٱبن عطية رحمه الله: ((ومنهم من يراها مشبهة بسورة البناء؛ أي: القطعة منه؛ لأنَّ كلَّ بناء إنما يُبنى قطعة بعد قطعة، وكلُّ قطعة منها سورة))[٤]؛ فتكون إنما ((سُمِّيتْ سورة؛ لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة مثل سورة البناء... والقول الثاني: أنْ تكون سُمِّيت سورة؛ لشرفها وعظم شأنها؛ فتكون مأخوذة من قول العرب: له سورة في المجد؛ أي: شرف وٱرتفاع))[٥]..

وقال الزمخشري في «**الكشَّاف**» في معرض بيانه الأصول التي تشتقُّ منها السورة، والدلالات التي تخرج إليها: ((والسورة: الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلُّها ثلاث آيات.. وواوها إنْ كانتْ أصلاً؛ فإما أن تُسمَّى بسورة المدينة؛ وهي حائطها؛ لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور، أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها... أو لأنَّ السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقَّى فيها القارئ.. وهي أيضاً في أنفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار.. أو لرفعة شأنها وجلالة محلِّها في الدين.. وإنْ جعلت واوها

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (١/ ٦٥– ٦٦).

[٢] (١/ ٦١– ٦٢)، وينظر: المقتضب (١/ ٢٨٩).

[٣] عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/ ٢٣٢– ٢٣٣)، وينظر: ديوان النابغة الجعدي/ ص٧٣.

[٤] المحرر الوجيز (١/ ٥١).

[٥] الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٢)، وينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٢٤٧)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٦٦).

منقلبة عن همزة؛ فلأنها قطعة وطائفة من القرآن؛ كالسورة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه))(١)..

وفي هذا السياق أيضاً يقول الإمام القرطبي رحمه الله: ((السورة من القرآن: القطعة منه المفتتحة بالبسملة، المختتمة بخاتمتها.. سُمِّيت بذلك لأنها محيطة إحاطة السور بالمدينة.. وقيل: سُمِّيت بذلك لرفعتها، والسورة: المنزلة الرفيعة.. وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لشرفها وٱرتفاعها، كما يقال لما ٱرتفع من الأرض سور.. وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأن قارئها يشرف على ما لم يكنْ عنده؛ كسور البناء.. وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأنها قطعت من القرآن على حدة؛ من قول السرب(٢) للبقية: سؤر، وجاء في أسآر الناس؛ أي: بقاياهم.. فعلى هذا يكون الأصل: «**سؤرة**» بالهمزة.. وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لتمامها وكمالها.. من قول العرب للناقة التامة: سورة))(٣)..

- «القرآن»: وجاء لفظ ((«**القرآن**» بمعنى المقروء؛ من قول العرب: قرأت الشيء؛ إذا أظهرته وأبرزته.. ومنه: قرأت الناقة السلا والجنين؛ إذا أظهرتْه وأبرزتْه من بطنها(٤)... ومعنى القرآن على هذا: المقروء الذي يظهره القارئ ويبرزه من فيه بعباراته الواضحة.. وقال بعض أهل العلم: «إنَّ الوصف المُعبَّر عنه بالمصدر هو ٱسم الفاعل»؛ وعليه فالقرآن بمعنى القارئ؛ وهو ٱسم فاعل قرأت؛ بمعنى: جمعت.. ومنه قول العرب: قرأت الماء في الحوض؛ أي: جمعته فيه.. وعلى هذا؛ فالقرآن بمعنى القارئ؛ أي: الجامع؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ جمع فيه جميع ما في الكتب المنزلة))(٥)؛ فـ((ٱشتقاقه من «**قرأ**»؛ أي: جمع؛ لأنه مجموع من سور، والسور من آيات، والآيات من كلمات، والكلمات من حروف.. وقيل: لأنه جمع فيه القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والتنبيه، وغير ذلك من أنواع الخطاب.. وفيه لغتان: الهمز، وعدمه... وقيل: بل هو من «**قرن**»؛ لأنه قد ٱقترنتْ فيه الكلمات والسور والآيات، أو الوعد والوعيد، والأمر والنهي حسبما تقدم..

---

(١) الكشَّاف عن حقائق التنزيل (١/ ١٢٧– ١٢٨).

(٢) كذا ورد في نصِّ القرطبي رحمه الله، ولعلَّ الصواب: «العرب».

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٦٥– ٦٦)، وينظر: عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٢/ ٢٣٢– ٢٣٣).

(٤) وفي هذا السياق يقول أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: ((إنما سُمِّي القرآن قرآناً؛ لأنَّ القارئ يظهره ويبينه ويلقيه من فيه، أُخذ من قول العرب: «ما قرأت الناقة سلىً قط»؛ أي: ما رمتْ بولد)) [الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٦٩)].

(٥) أضواء البيان (٦/ ٣٢٥).

والقرآن مصدر أيضاً، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ القِيَامَةِ]؛ أي: قراءته))(١)، وقال الراغب الأصفهاني في «المفردات في غريب القرآن»: ((وقد خُصَّ بالكتاب المنزَّل على محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فصار له كالعَلَم، كما إنَّ التوراة لما أُنزل على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام.. قال بعض العلماء: ليستْ تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله سبحانه وتعالى؛ لكونه جامعاً لثمرة كتبه؛ بلْ لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار سبحانه وتعالى إليه بقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِى بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَىۡءٍ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ].. وقوله جلَّ جلاله: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنًا لِّكُلِّ شَىۡءٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سُورَةُ النَّحۡلِ]))(٢)..

إنَّ المتتبع لأقوال العلماء في ٱشتقاق لفظ «**القرآن**» يُلفيهم قد ٱنقسموا على فريقين رئيسين، يرى الأول منهم أنه غيرُ مهموز، في حين يرى الفريق الثاني العكس من ذلك، وأنه مهموز، والقائلون بعدم الهمز ٱختلفوا بين قائل بأنه غيرُ مشتقٍّ، وأنه ٱسم عَلَم على كلام الله عزَّ وجلَّ المنزَّل على قلب نبيه صلَّى الله عليه وسلَّم؛ مثل التوراة والإنجيل(٣)، وبين قائل بأنه مشتقٌّ من قولهم: «**قرن الشيء بالشيء**»؛ إذا ضمَّه إليه، سُمِّي بذلك؛ لأنَّ سوره وآياته وحروفه تُقرن فيه ويُضمُّ بعضها إلى بعض.. وبين قائل بأنه مشتقٌّ من القرائن – جمع قرينة – لأنَّ آياته يُصدِّق بعضُها بعضاً؛ فهي قرائن ودلائل على بعضها البعض.. وواضح أنَّ النون في «**قرائن**» أصلية؛ وعلى هذا تكون النون في «**القرآن**» أصلية كذلك، ووزنه «**فُعَّال**»(٤)..

أما فريق القائلين بأنه مهموز؛ فقالوا أنه مشتقٌّ من «**قرأ**»؛ إلا أنهم ٱختلفوا في معنى «**قرأ**» التي ٱشْتُقَّ منها؛ فقال فريق أنه بمعنى «**جمع**»؛ لأنَّ هذا الفعل يعني جمع الشيء وضمِّ أجزائه بعضها إلى بعض.. يقال: قرأت الشيء قرآناً؛ إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض.. ومعنى: قرأت القرآن: لفظت به مجموعاً؛ أي: ألقيته، وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومنه سُمِّي القرآن قرآناً؛

---

(١) عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ – مادة «ق ر أ » (٣/ ٢٨٦– ٢٨٧).

(٢) (٢/ ٢٣٩).

(٣) ينظر: مباحث في علوم القرآن، للصالح/ ص١٨.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٥٠– ٣٥١)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٥١).

لأنه جمع القصص والأخبار، والأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغُفران والكُفران(١)..

قال الزَّجَّاج: ((يُسمَّى كلام الله سبحانه وتعالى الذي أنزله على نبيه صلَّى الله عليه وسلَّم كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن: الجمع، وسُمِّي قرآناً؛ لأنه يجمع السور فيضمُّها))(٢)، وقيل: إنه من «**قرأ**»؛ بمعنى: «**أظهر وبيَّن**»؛ لأنَّ القارئ يُظهر القرآن ويُخرجه.. وقيل: إنه من «**قرأ**»؛ بمعنى: «**تلا**»، وهو مصدر كالرُّجحان والغُفران.. والعرب في الجاهلية حين عرفوا لفظ «**قرأ**»؛ ٱستعملوه بمعنى غير معنى التلاوة؛ فكانوا يقولون: «هذه الناقة لم تقرأْ سلىً قطُّ»؛ يقصدون أنها لم تحملْ ملقوحاً ولم تلدْ ولداً(٣)، ومنه قول عمرو ٱبن كلثوم:

ذِراعَـــيْ عَيطَـــلٍ أدمـــاءَ بِكـــرٍ   هجـانِ اللَّـون لـم تقرأْ جنينـا(٤)

وهذا القول الأخير هو الذي رجَّحه طائفة من العلماء، ومنهم الزرقاني رحمه الله، وهو الذي أميلُ إليه ويطمئنُّ قلبي، ويُؤيِّده قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ١٧﴾؛ أي: جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ [سُورَةُ القِيَامَةِ]؛ أي: قراءته وتلاوته(٥)..

على أنَّ هناك من يرى بأنَّ إطلاق لفظ «**القرآن**» على كتاب الله سبحانه وتعالى أمرٌ توقيفي؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الذي سمَّاه بذلك في نحو قوله الكريم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ٩﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ]، وقوله جلَّ في علاه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ٢١﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ]؛ ولذلك صار عَلَماً بالغلبة؛ ولأجل هذه العلمية ٱنتقل لفظ «**القرآن**» من المصدرية إلى الاسمية(٦)..

---

(١) ينظر: الصِّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٦٥)، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٣٥٠)، ولسان العرب (١/ ١٢٨- ١٢٩)، والإتقان في علوم القرآن (١/ ٥١).

(٢) لسان العرب (١/ ١٢٨)، وينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٧).

(٣) ينظر: الصِّحاح، تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٦٥)، ولسان العرب (١/ ١٢٦)، ومباحث في علوم القرآن، للصالح/ ص١٩.

(٤) المُعلَّقات العشر (١٠/ ٥).

(٥) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٧).

(٦) ينظر: لسان العرب – مادة «ق ر أ»، (١/ ١٢٨).

❖ «الاسم»: ومن ذلك أيضاً: الاختلاف في ٱشتقاق الاسم من «**السُّمُوِّ**»، أو «**الوسم**»، أو «**السِّمة**»، والخلاف فيه بين البصريين والكوفيين(١)؛ فاشتقاق «**الاسم**» عند البصريين من «**سما يسمو**»؛ إذا علا؛ لأنه سما على الفعل والحرف بكونه قد يستغني بنفسه عنهما، ولأنه من «**سما يسمو**» كـ«**علا يعلو**»، ومنه السماء لكلِّ مرتفع؛ ولأنَّ الاسم رفع المُسمَّى وأخرجه إلى الوجود، والاسم يعلو المُسمَّى، ويدلُّ على ما تحته من المعنى.. فلولا الاسم؛ لما عُرف المُسمَّى، ولما ظهر؛ فتبيَّن أنه من «**السُّمُوِّ**»(٢)، فالمحذوف منه لامُه؛ لأنَّ المحذوف يرجع إلى موضع اللام في جميع تصاريفه؛ نحو: سمَّيتُ، وأسميتُ، وسمى، وسميّ، وأسماء، وأسامٍ.. ولأنَّ الهمزة فيه عوض من المحذوف، وقد أُلف من عاداتهم أن يُعوِّضوا في غير موضع الحذف(٣)، قال الراغب: ((والاسم: ما يُعرف به ذات الشيء... وأصلُه من «**السُّمُوِّ**»؛ وهو الذي به رفع ذكر المُسمَّى؛ فيعرف به))(٤)، وإنما سُمِّي هذا اللفظ ٱسماً من معنى العُلُوِّ لوجهين؛ أحدهما: أنه سما على صاحبيه(٥) في الإخبار، والثاني: أنه ينوه بالمُسمَّى؛ لأنَّ الشيء قبل التسمية خفيٌّ عن الذهن؛ فهو كالشيء المنخفض، فإذا سُمِّي؛ ٱرتفع للأذهان كارتفاع المُبصَر للعين!!

وقال الكوفيون: هو من «**الوَسْم**»، أو «**السِّمة**»؛ بمعنى العلامة؛ وذلك لكونه علامة يُعرف بها المُسمَّى؛ وكأني بهم يحتجُّون بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [سُورَةُ القَلَمِ].. قالوا: إنما قلنا بأنه مشتقٌّ من «**الوسم**»؛ لأنَّ الاسم في اللغة هو العلامة، والاسم وَسْمٌ على المُسمَّى وعلامة له يُعرف بها.. ألا ترى أنك إذا قلت: زيد، أو عمرو؛ دلَّ على المُسمَّى؛ فصار كالوسم عليه؛ فلهذا قلنا: إنه مشتقٌّ من الوسم؛ ولذلك قيل: الاسم سمة توضع على الشيء يُعرف بها..

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن، للقيسي (١/ ٦٦)، وإعراب القرآن الكريم، مي الجبوري/ ص١٠٦- ١٠٧.

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (١/ ٦)، وٱئتلاف النصرة في ٱختلاف نحاة الكوفة والبصرة/ ص٢٧.

(٣) ينظر: مسائل خلافية في النحو/ ص٥٩- ٦٠.

(٤) المفردات (١/ ٥٠٢)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٠١).

(٥) أي: الفعل والحرف.

والأصل في «**ٱسم**»: «**وَسْم**»؛ إلا أنه حُذفتْ منه الفاء التي هي الواو من «**وسم**»، وزيدت الهمزة في أوَّله عوضاً عن المحذوف، ووزنه: «**ٱعْل**»؛ لحذف الفاء منه(١)!!

والذي يراه الأُستاذ الدكتور مهدي المخزومي(٢) – وهو الرأي الذي يطمئنُّ له قلبي، وأراه أقرب إلى الصواب – أنَّ كلام الكوفيين وتخريجهم أقربُ من تأويل البصريين، وأقومُ في فهم العلاقة بين اللفظ والمعنى فهماً لغوياً، وأنأى عن التكلُّف والتمحُّل!!

- «النبي»: قال جلَّ جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ ﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ]، قُرئ لفظ «**النبيّ**» بالهمز وبغير الهمز، فمَنْ هَمَزَه؛ جعله من النبأ، وهو فعيل بمعنى مفعول؛ لأنه منبأ من جهة الله سبحانه وتعالى ومُخبَر، وقيل: بمعنى فاعل؛ لأنه يُنبئ الإنسان بما أُوحي إليه.. قال البقاعي رحمه الله: ((وللنُّبُوَّة ٱشتقاقان، أحدُهما: من النبأ؛ وهو الخبر، وذلك لمن ٱصطفي من البشر لرتبة السماع والإنباء؛ فنبيء... والاشتقاق الثاني من النَّبْوة؛ وهي الارتفاع والعُلُوِّ، وذلك لمَنْ أُعلي عن رتبة النبأ إلى رتبة العلم؛ فكان مُطَّلعاً على علم ما ورد عليه من الغيب على حقيقته وكماله))(٣)، ورُوي عن أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رضي الله عنه أنه قال: ((جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فقال: يا نبيء الله؟؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «لستُ بنبيء الله؛ ولكنِّي نبيُّ الله»))(٤)..

ومن قرأ بغير همز؛ فمِنْ «نبا ينبو»؛ أي: ٱرتفع.. وقال بعضهم: هو من النبوة؛ أي: الرفعة، سُمِّي نبياً؛ لرفعة محلِّه وعلوِّ شأنه عن سائر الناس(٥)، وهي المدلول عليها بقوله جلَّ جلاله: ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧ ﴾ [سُورَةُ مَرۡيَمَ].. وقيل: «النبيُّ»: ما ٱرتفع من الأرض وٱحدودب، ومنه الحديث: ((لا تُصلُّوا على النبيّ))(٦)؛ والمعنى: لا تُصلُّوا على الأرض المرتفعة المحدودبة، وقيل: هي الطرقات.. وسُمِّيتْ رسل الله: أنبياء؛ لكونهم طرقاً إلى الله سبحانه وتعالى..

- «الناس»: كما ٱختُلف في لفظ «**الناس**» على أقوال:

---

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (١/ ٦)، وٱئتلاف النصرة في ٱختلاف نحاة الكوفة والبصرة/ ص٢٧.

(٢) ينظر: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو/ ص٤٣٦– ٤٣٧.

(٣) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور (٦/ ٦٨).

(٤) المستدرك/ كتاب التفسير، رقم (٢٨٥٩) (٧/ ٣٣)، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يُخرِّجاه.

(٥) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١١٩)، والمفردات في غريب القرآن (٢/ ٤٠٥).

(٦) ينظر: الفائق في غريب الحديث (٣/ ٦٥)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١).

- أحدها: أنَّ أصله: «**نوس**»، مأخوذ من: ناس الشيء ينوس؛ إذا تحرَّك وتذبذب.. قال جلَّ شأنه: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ القَارِعَةِ].. إنَّ التعبير في أمثال تلك الآيات الكريمة ((بلفظ «**الناس**»؛ لظهور معنى النوس فيهم؛ لاضطرابهم بين الحالين؛ لأنَّ «**النوس**» حركة الشيء اللطيف المُعلَّق في الهواء؛ كالخيط الذي ليس في طرفه الأسفل ما يثقله؛ فلا يزال مضطرباً بين جهتين))(١)، وفي الحديث أو الأثر: ((رأيتُ العباس وضفيرتاه تنوسان على ترائبه))(٢)..

- والثاني: أنَّ أصله: «**أناس**»؛ وآشتقاقه من الإنس؛ للإيناس بهم، وقيل: سُمِّي إنساناً؛ لأنه يأنس بجنسه.. وقال آبن قتيبة: سُمِّي الإنس إنساً لظهورهم، وإدراك البصر إياهم، وهو من قولك: آنست كذا؛ أي: أبصرته.. قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ [سُورَةُ طه].. والإنس هم الجيل المقابل للجنِّ، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم كانوا يُؤنَسون؛ أي: يُبصَرون بخلاف الجنِّ؛ فإنهم كانوا يَخْفَون؛ أي: يستترون فلا يُبصَرون.. ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾﴾ [سُورَةُ النَّمْلِ]؛ أي: أبصرتها.. وقيل: آنستُ: أحسستُ ووجدتُ.. وهو بمعنى الأول؛ لأنَّ البصر أحدُ الحواسِّ، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]؛ أي: علمتم، وأصله: أبصرتم... والإنسان مشتقٌّ من الأنس، وزنه «**فعلان**»؛ لأنه لا قوام له إلا بأنس آخر من جنسه... وقيل: «للإنسان أُنسان: أُنسٌ بالخَلْق، وأُنسٌ بالحقِّ؛ فروحه تأنس بالحقِّ، وجسمه يأنس بالخلق».. وقيل: سُمِّي الإنسان إنساناً؛ لأنَّ له أُنسين: أُنساً بالعُقبى، وأُنساً بالدنيا، وفي هذا السياق تقول رابعة العدوية:

إنــي جعلتُــك فــي الفــؤاد مُحــدِّثي وأبحــتُ جــسمي مَــنْ أراد جلوســي

---

(١) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٠٠– ١٠١)، وينظر: العين (٧/ ٣٠٣).

(٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٧).

فالجسم منِّي للجليس مُؤانسٌ   وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي(١)

ومنه أيضا قول الشاعر:

وما سُمِّي الإنسانُ إلا لأُنسه   ولا القلب إلا أنه يتقلَّب(٢)

- ➢ والثالث: أنَّ أصله: «**نسي**»؛ من النِّسيان؛ فقلبت الكلمة بأنْ قُدِّمتْ لامُها وأُخِّرتْ عينُها؛ فصار: نيساً؛ قلبت الياء ألفاً(٣)، وقيل: سُمِّي إنساناً؛ لأنه... مشتقٌّ من النسيان(٤)، وفي ذلك يقول الشاعر:

لا تنسينْ تلك العهود فإنما   سُمِّيتَ إنساناً لأنك ناسي(٥)

وقال آخر:

وما سُمِّي الإنسان إلا لنسيه   ولا القلب إلا أنه يتقلب(٦)

- ❖ «الشيطان»: وكذا الحال فإنَّ ((في «**الشيطان**» قولين: الأول: أنْ يكون سُمِّي شيطاناً؛ لتباعده من الخير، أُخذ من قول العرب: دار شطون، ونوى شطون؛ أي: بعيدة... والثاني: أنْ يكون الشيطان سُمِّي شيطاناً؛ لغيِّه وهلاكه، أُخذ من قول العرب: قد شاط الرجل يشيط؛ إذا هلك))(٧)، ومنه قول الأعشى:

قد نطعن العير في مكنون فائله   وقد يشيط على أرماحنا البطل(٨)

والشيط للَّحم إذا مسَّتْه النار يتشيَّط منه؛ فيحترق بعضه كما يتشيَّط الشعر أو الحبل باحتراق جزء منه، وتشيَّط الدَّم؛ إذا غلى بصاحبه، وٱستشاط فلان غضباً؛ إذا ٱستقتل، والتشيُّط: الغضب(٩).. قال السمين الحلبي في معرض حديثه عن ٱشتقاق لفظ «**الشيطان**» بأنَّ ((الصحيح

---

(١) ينظر: العين (٧/ ٣٠٤، و٣٠٨)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ٢٨)، وعمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (١/ ١٢٩- ١٣٠).

(٢) ينظر: عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ٣٣٠).

(٣) ينظر: عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ٢٣٢- ٢٣٣).

(٤) تنظر الآراء الثلاثة أعلاه في: الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٨٠٩- ٨١٢).

(٥) ينظر: عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٤/ ١٧٤- ١٧٥).

(٦) ينظر: المصدر نفسه (٣/ ٣٣٠).

(٧) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٣- ٥٤).

(٨) ينظر: ديوانه (٤٨/ ٣).

(٩) ينظر: العين (٦/ ٢٧٥).

أنه مشتقٌّ من «**شطن يشطن**»؛ إذا بَعُد... وقيل: مشتقٌّ من «**شاط يشيط**»؛ إذا هاج وٱحترق(١)، ولا شكَّ أنَّ المعنيين موجودان فيه؛ أعني: البعد من الرحمة، والاحتراق والهياج؛ إلا إنَّ الاشتقاق يدلُّ للأول))(٢)، وفي هذا السياق يقول الأستاذ الدكتور محمود توفيق في تحليلٍ بديعٍ لفقه تلك التسمية وأبعادها الدلالية والإيحائية: ((والبيان بكلمة «**الشيطان**» في سياق إغواء أبينا آدم عليه السَّلام دالٌّ على ما هو مُنتهٍ إليه جهادُه في إغواء أهل الطاعة.. إنَّ أثره لمُتناهٍ مُتلاشٍ في سرعة، فكلُّ محاولة منه مع من كان متَّسماً بالفقه لحاله وموقفه إنما مصيرُها الاحتراق، وكلُّ محاولة من محاولات الإغراء محترقة بالتوبة النصوح إذا ما ثاب الإنسان إليها، وليس أخسر ممَّنْ يحترق جهادُه العظيم في الإغواء بكلمة صادقة يقولها المرء، يُصوِّر بها ما يعتلج في صدره من الندم والمخافة!!))(٣)..

فتسمية الشيطان شيطاناً على أحد الرأيين؛ لتباعُده من الخير ومن رحمة الله جلَّ في علاه، وهو مأخوذ من قول العرب: دارٌ شطون، ونوىً شطون؛ أي: بعيدة، وبئر شطون: بعيد العُمق والقعر، ويقال للحبل الطويل: شطن؛ لامتداده.. ومنه قول النابغة الذبياني:

فأضحتْ – بعدما وصلتْ – بدار ... شطون لا تُعاد ولا تعود(٤)

وقوله أيضاً:

نأتْ بسعاد عنك نوى شطون ... فبانتْ والفؤاد بها رهين(٥)

❖ «قريش»: جاء في «المقاييس»: ((القاف والراء والشين أصلٌ صحيح يدلُّ على الجمع والتجمُّع... يقال تقرَّشوا؛ إذا تجمَّعوا... ويقولون: إنَّ قريشاً دابة تسكن البحر تغلب سائر الدوابَّ))(٦)؛ فقريش: مصغَّر القرش؛ وهي دابة بحرية تخافها دوابُّ البحر كلُّها، وقيل: إنها

---

(١) وفي الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: ((إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)) [سنن أبي داود/ كتاب الأدب (باب في الحسد)، رقم (٤٩٠٥) (٤/ ٤٢٧)، قال الألباني: ضعيف]، وداءُ إبليس – كما أعلمنا القرآنُ الكريم – كانت بادرته الأولى وبدايته الكِبْر والحسد؛ وكأني بنار حسده لأبينا آدم عليه السلام قد ٱتخذتْ منه وقوداً وحطباً تلتهمه؛ فغدا ناراً تأكله النار، والنار تأكل بعضها إنْ لم تجدْ ما تأكله؛ وبذا شاط وهاج وٱحترق بنار حسده المضافة إلى نار مادَّته!!

(٢) عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ – مادة «**ش ط ن**» (٢/ ٢٧٠– ٢٧١)، ومادة «**ش ي ط**» (٢/ ٣١٠– ٣١١)، وينظر: نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور (١/ ١٠٥).

(٣) الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن/ ص٣٣٩.

(٤) ينظر: ديوانه (١/ ١٠٥).

(٥) ينظر: ديوانه (١/ ١٠٠).

(٦) (٥/ ٧٠– ٧١).

سيِّدة دوابِّ البحر، إذا دنتْ؛ وقفتْ الدوابُّ، وإذا مشتْ؛ مشتْ!! وكذلك قريش سادات الناس جاهلية وإسلاماً، وهي إحدى قبائل العرب الكبرى؛ بلْ هي أشرفها.. عاشتْ حول الكعبة بيت الله الحرام بمكة، وٱضطلعتْ بخدمة الحجيج، وعُرفتْ بالتجارة؛ فكان لها رحلتان، إحداهما في الشتاء إلى اليمن، والأخرى في الصيف إلى الشام..

وقيل في ٱشتقاق «**قريش**»: أنه من التقرُّش؛ وهو التجمُّع، يقال: تقرَّش القوم؛ إذا تجمَّعوا، وقرشه: جمعه من هاهنا وهاهنا، وضمَّ بعضه إلى بعض، ومن هذا سُمِّيت قريش؛ لتقرُّشها؛ أي: تجمُّعها إلى مكَّة من حواليها بعد تفرُّقها في البلاد حين غلب عليها قصي بن كلاب.. وقيل: بلْ هو من الكسب(١)، يقال: قرَّش لأهله وتقرَّش؛ أي: تكسَّب، وهو يقرش لعياله ويقترش؛ أي يكتسب، والتقريش: الاكتساب، وكانتْ قريش قوماً تُجَّاراً متكسِّبين، فسُمِّيتْ بذلك؛ لتجرها وتكسُّبها وضربها في البلاد تبتغي الرزق، فكان أهلُها أهلَ تجارة، ولم يكونوا أصحابَ ضرع وزرع(٢)، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾ [سُورَةُ قُرَيۡشٍ]..

- ❖ «الصلصال»: ومن ٱختلافهم في دلالة اللفظة القرآنية بسبب الاختلاف في أصلها وٱشتقاقها ما ورد حول لفظ «**صلصال**» من قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾ [سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ].. فمن قال بأنه الطين اليابس الذي إذا نقرته؛ صلَّ وأصدر صوتاً؛ جعل أصل اللفظة مشتقَّاً من الصلصلة؛ بمعنى الصوت، ومنه: صلصلة اللجام والحليِّ، والصلصلة: صوت الرعد إذا كان صافياً، ويقال للفرس إذا كان حادَّ الصوت: «فرسٌ صلصال»(٣)، ومن قال بأنه بمعنى تغيُّر الشيء ونتنه؛ فقد جعل أصله من: صلَّ اللحم والشيء، وجعلوا منه القراءة الشاذَّة: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا صَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ ((أي: أنتنَّا وتغيَّرنا، وفي الحديث فيما يباح أكلُه من الصيد: «كلُّ ما ردَّتْ عليك قوسُك؛ ما لم تصلَّ»(٤)؛ أي: تُنتن))(٥)، وقال

---

(١) وحكى بعضهم في تسميتهم بـ«قريش» نحواً من عشرين قولاً!! [ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١/ ٤٣٢٣)].

(٢) ينظر: العين (١/ ٣٧٤)، والكشَّاف عن حقائق التنزيل (٤/ ٨٠٧)، ومفاتيح الغيب (٣٢/ ١٠٠).

(٣) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة (١/ ٣٥٠)، وتفسير غريب القرآن/ ص٢٣٧- ٢٣٨، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٨).

(٤) ينظر: المعجم الكبير، للطبراني/ رقم الحديث: (١٨٠٤٨) (١٦/ ٩٧)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(٥) عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ (٣/ ٧٨).

الكسائي رحمه الله في معنى «**الصلصال**» في قوله جلَّ شأنه: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾؛ ((هو من قول العرب: صلَّ اللحم وأصلَّ؛ إذا أنتن))(١)..

- «مستمر»: ومنه: ٱختلافهم في تردُّد دلالة لفظة «**مستمرّ**» من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ] على أقوال، منها: أنها بمعنى: ماضٍ وذاهب وزائل؛ من: مرَّ يمرُّ(٢)، وأنها بمعنى: شديد قوي محكم، مستفعل؛ من الإمرار، من قولهم: أمرَّ الحبلُ؛ إذا صلُب وقوي وٱشتدَّ وأُحكِمَ فَتْلُه(٣)..

وبذا يتبيَّن لنا جلياً أنَّ مدلول اللفظة يختلف باختلاف النظر إلى أصلها؛ وإنْ آلتْ صورتُها في الأصلين أو الأُصول إلى صيغة واحدة(٤)!!

وفي الختام.. لا يفوتني التنبيه في هذا المقام على خطأ بعض الباحثين في الحكم غير المتَّئد على بعض الألفاظ بأنها ممَّا يدخل ضمن المشترك اللفظيِّ بمجرَّد الملاحظة الظاهرية لاختلاف معانيها وتنوُّع دلالاتها، من دون التنبُّه إلى الاتفاق أو التغاير في صيغة المصدر؛ في حين إنَّ نظرة سريعة في أصل اللفظ وما ٱشتقَّ منه قد تُميط اللثام وتكشف لنا أنَّ تعدُّد المعنى المحكوم على لفظه بالاشتراك معزوٌّ في حقيقة اللغة وضوابطها إلى تعدُّد الأصل الذي ٱنحدر منه ذلك اللفظ!! ومن شروط المشترك اللفظي الغائبة عن أذهان كثير من أهل الاختصاص – بَلْهَ الباحثين – : الاشتراك في الصيغة والأصل معاً، لا في الصيغة بمفردها، وإهمال الأصل أو تجاهله(٥)..

بعد هذا وذاك يتبيَّن لنا مدى ما جادتْ به ظاهرة «**الاشتقاق**» في اللغة العربية، وأسهمتْ إسهاماً لا حدَّ لعطائه وسخائه في إضفاء المرونة على الدلالات اللغوية لمفردات المعجم العربيِّ

---

(١) الكشف والبيان (٥/ ٣٣٩)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢١)، والتفسير اللغوي/ ص٤٨٨- ٤٨٩.

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء (٣/ ١٠٤)، ومعاني القرآن وإعرابه، للزَّجَّاج (٥/ ٨٥).

(٣) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢/ ٢٤٠)، وتفسير غريب القرآن، لابن قتيبة/ ص٤٣١.

(٤) ينظر: التفسير اللغوي/ ص٤٩٠، والأمثلة في هذا الباب كثيرة وواسعة سعة لغتنا العربية وألفاظها، ولا قبل لي في هذا البحث المقتضب بحصرها والإلمام بها؛ ولكن لا يضيرني الإشارة إلى بعض منها؛ فمن رام الرجوع إليها والاطلاع على صور من ٱختلاف مدلولاتها اللغوية باختلاف أصولها الاشتقاقية؛ فدونه الألفاظ الآتية، فليراجعها في معجم «**تهذيب اللغة**»، للأزهري: «**حصيراً**»، و«**حسوماً**»، و«**حاق**»، و«**المحيض**»، و«**تصدى**»، و«**مسنون**»، و«**مثاني**»، و«**أماني**»... الخ..

(٥) ينظر: التفسير اللغوي/ ص٤٩٨.

والمعجم القرآنيِّ على حدٍّ سواء، وإثرائها، ونفي الرتابة عنها، ودرء المعاني اليتيمة التي لا تقبل تأويلاً، أو توسُّعاً، أو ٱنفتاحاً، أو مواكبة لما تقتضيه الحاجة والضرورة التي سيق النصُّ – وبداخله المفردة – من أجل الوفاء بها، وإزاحة تلك التي لا تُتيح المجال للإحاطة والشمول للآراء والأقوال والمذاهب المنضبطة بضوابط اللغة والشرع، التي أدلى بها أئمة اللغة والتفسير، وكانوا إزاءها في وُجهات عديدة تصبُّ جميعاً في المحور العام والدلالة المركزية للَّفظة مدار الدراسة والبحث!!

الخاتمة

وختاماً؛ من نافلة القول أن أُقيِّدَ طائفةً مما أحدثتْه ظاهرةُ «**الاشتقاق**» بروابطها المحكمة من أثر بالغ في لغتنا العربية الخالدة وكتابها الأكبر – القرآن الكريم – وما فتحته أمامها من آفاق دَلالية فسيحة أسهمتْ في دفع عجلتها والسير بركبها خطوات إلى الأمام؛ فأقول:

- ما من شكٍّ في أنَّ ظاهرة الاشتقاق في تخليق الكلمات وتولدها بعضها من بعض تجعل من اللغة جسماً حياً تتوالد أجزاؤه، ويتَّصل بعضها ببعض بأواصر قوية واضحة تُغني عن عدد ضخم من الكلمات المفككة المنعزلة لو لم يكن الاشتقاقُ على هذه الصورة يربط بينها!! هذا من ناحية.. ومن ناحية أُخرى؛ فقد كان لوجود الاشتقاق في العربية على هذه الصورة شأنٌ كبير في تحديد أصالة الكلمات فيها، وسبيلاً لمعرفة الأصيل من الدخيل؛ لأنَّ الكلمة الدخيلة في العربية تبقى غالباً في معزل عن سلسلة المشتقَّات المتجانسة المترابطة؛ إذ لا نجد لها أصلاً لا من ناحية البنية، ولا من جهة الدلالة يمكن أنْ نُلحقه بها أو نُلحقها به إلا ما تعسَّف اللغويون فيه!!

- إنَّ ميزة الاشتقاق في العربية قد أكسبتْها ثروة من الألفاظ لا تتعاند؛ بلْ تتساند، ولا تتناهى؛ بلْ تتنامى على مرِّ العصور، وأضفتْ عليها مرونة تستجيب بها لمقتضيات العصر والحياة وما يستجدُّ فيها من معان وأفكار وأدوات ومخترعات..

- تشترك الألفاظ المنتسبة إلى أصل واحد في قدر من المعنى؛ وهو معنى المادَّة الأصلية العام، فكيفما جُمعتْ ألفاظ العربية؛ اَتضحتْ روابطُها الاشتقاقية أو وظائفها الصرفية على نحوٍ مطَّرد، وقواعد راسخة، وأوزان وصيغ تكشف عن معانيها؛ مما يعدُّ مزية للعربية لا تتوافر لغيرها من سائر اللغات الأُخرى؛ وبذا يعدُّ الاشتقاق بحقٍّ إحدى الوسائل الرائعة والمبتكرة في نموِّ اللغة ومرونتها واَتساعها وثرائها في المفردات؛ ما يُمكِّنها من التعبير عن المُستجدِّ من الأفكار، والمُستحدث من وسائل الحياة..

- إنَّ اَعتماد العربية الموازين والقوالب المتماثلة لكثير من المعاني لم يُؤثِّر في وفرة مفرداتها ولم يحُلْ بينها وبين ولوجها أبواب السعة في أسمى معانيها، وإشرافها على عالم الفيض الدلالي الفسيح؛ فهي غنية بهذه الموازين على نحوٍ لا يتأتى لغيرها من اللغات.. فمزية الاشتقاق عادتْ على العربية بفوائد كبيرة، ومكاسب جمَّة؛ إذ وثَّقت الصلة بين مفرداتها قديمها وحديثها،

ومكَّنت الدارسين من إدراجها في أدراجٍ مُتماثلة وحقول متكاملة ومجموعات متشابهة تُمكِّنهم من إدراك مفرداتها بعد الاطلاع على بعض مشتقَّاتها، فضلاً عن ٱكتشاف الدخيل من الكلمات المُتسرِّب في صفوفها..

- إنَّ العودة إلى الجذر الأصلي للكلمة قد يساعد إلى حدٍّ بعيد في الكشف عن معالمها، ومعرفة الجذر تتَّصل ٱتصالاً وثيقاً بالاشتقاق وطرقه في اللغة، وهو بشكل عامٍّ الوسيلة التي تتحقَّق بها الصلة بين كلمات اللغة..

- تهدي ظاهرةُ الاشتقاق إلى تقسيم أصول ألفاظ اللغة العربية – ومنها ألفاظ القرآن الكريم وأُصولها المباركة – تقسيماً منظَّماً، وحصرها في حقول واضحة المعالم، مُحدَّدة الأبعاد، مدروسة الآليات، دقيقة المعايير، وقياسها على وفق ما يمليه ذلك التقسيم قياساً علمياً رصيناً لا كيفما جاء وٱتفق، وتربأ بها عن القياسات التخمينية المتضاربة التي تسودها العشوائية والاضطراب، كما هو حال اللغات الأُخرى المسكينة!!

- الاشتقاق خصِّيصة للعربية تتميَّز بها – كغيرها من ظواهر عديدة أُخرى؛ كالإعراب – عن كثير من أخدانها التي تفتقر كثيراً إلى روابط ٱشتقاقية ثابتة وأُصول مرجعية معتمدة!! فلو عقدنا موازنة بين اللغة الانجليزية وبين لغتنا العربية؛ لوجدْنا الفردية غالبة على الأولى؛ فقد تتقارب معانيها وتتغاير ألفاظها..

- يُخطئ بعضُ الباحثين في الحكم غير المتَّئد على بعض الألفاظ بأنها مما يدخل ضمن المشترك اللفظي بمُجرَّد الملاحظة الظاهرية لاختلاف معانيها وتنوُّع دلالاتها، من دون التنبُّه إلى الاتفاق أو التغاير في صيغة المصدر؛ في حين إنَّ نظرة سريعة في أصل اللفظ وما ٱشتقَّ منه قد تُميط اللثام وتكشف لنا أنَّ تعدُّد المعنى المحكوم على لفظه بالاشتراك معزوٌّ في حقيقة اللغة وضوابطها إلى تعدُّد الأصل الذي ٱنحدر منه ذلك اللفظ!! ومن شروط المشترك اللفظي الغائبة عن أذهان كثير من أهل الاختصاص – بَلْهَ الباحثين – : الاشتراك في الصيغة والأصل معاً، لا في الصيغة بمفردها، وإهمال الأصل أو تجاهله..

- إنَّ المُنعم والمُجيل نظره فيها؛ يجد ما جادتْ به ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية والقرآن الكريم، وأسهمتْ إسهاماً لا حدَّ لعطائه وسخائه في إضفاء المرونة على مفردات المعجم العربي والمعجم القرآني على حدٍّ سواء، ونفي الرتابة والمعاني اليتيمة التي لا تقبل تأويلاً، أو توسُّعاً، أو ٱنفتاحاً، أو مواكبة لما تقتضيه الحاجة والضرورة التي سيق النصُّ – وبداخله المفردة – من أجل الوفاء بها..

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **أئتلاف النصرة في ٱختلاف نحاة الكوفة والبصرة:** أبو عبدالله عبد اللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي، الزبيدي (ت٨٠٢هـ)، تحقيق: د. طارق عبد عون الجنابي/ عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣- **أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية:** أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي (ت١٤٢٨هـ)، مطابع التعليم العالي - بغداد، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤- **الإتقان في علوم القرآن:** أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الإيمان - الإسكندرية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥- **الاشتقاق والتعريب:** عبد القادر المغربي/ تحقيق: عبد السلام محمد هارون (بلا دار نشر)، القاهرة/ ١٩٤٧م.

٦- **الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي:** عبد الحميد أبو سكين/ مكتبة الفنون النموذجية (بلا مكان نشر)، ط١/ ١٣٩٩هـ.

٧- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية - الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨- **إعراب القرآن الكريم - دراسة في منهجية التأليف حتى نهاية القرن السادس الهجري:** د. مي فاضل الجبوري/ دار الشؤون الثقافية - بغداد، ط١/ ٢٠٠١م.

٩- **الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن:** بحث أعدَّه الأستاذ الدكتور محمود توفيق محمد سعد/ مكتبة وهبة - القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٠- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين:** أبو البركات الأنصاري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١١- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:** أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان- القاهرة، (ب. ت).

١٢- **بدائع الفوائد:** ٱبن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي/ مكتبة نزار مصطفى الباز - مكَّة المكرَّمة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٣- **البرهان في علوم القرآن:** الإمام أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الفكر - بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٤- **تفسير غريب القرآن:** ٱبن قتيبة الدِّينوري (ت٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٥- **التفسير اللغوي للقرآن الكريم «أصله أُطروحة دكتوراه»:** د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار/ دار ٱبن الجوزي - الدَّمَّام، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٦- **تهذيب اللغة:** أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، والأستاذ محمد فرج العقدة/ مراجعة: الأستاذ محمد علي البيجاوي (بلا معلومات نشر).

١٧- **الجامع لأحكام القرآن، الشهير بـ«تفسير القرطبي»:** أبو عبدالله القرطبي، المالكي (ت٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي – القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٨- **ديوان النابغة الذبياني:** زياد بن معاوية بن ضباب الغطفاني، المضري، المعروف بـ«النابغة الذبياني»، (توفي نحو سنة ١٨هـ/ ٦٠٤م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار المعارف – القاهرة، ١٩٧٧م.

١٩- **الزاهر في معاني كلمات الناس:** أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: أ.د. حاتم صالح الضامن/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٠- **سنن أبي داود:** عبد الرحمن سليمان بن الأشعث بن بشير السجستاني، الأزدي (ت٢٧٥هـ)، دار الحديث – القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١- **الصِّحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»:** أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: الأُستاذ أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٢٢- **ظاهرة الإعراب في اللغة العربية «أُطروحة دكتوراه»:** سعدون طه سرحان العجيلي، إشراف: أ.د. رشيد عبد الرحمن العبيدي/ الجامعة الإسلامية – كلية الآداب، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٣- **ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن الكريم:** أ.د. أحمد سليمان ياقوت/ دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية، ط١/ ١٩٩٤م.

٢٤- **عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ:** أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٥- **العين:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: أ.د. مهدي المخزومي، أ.د. إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد – بغداد، ١٩٨٠– ١٩٨٢م.

٢٦- **الفائق في غريب الحديث:** جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار صادر – بيروت، ط١/ ١٣٨٥هـ.

٢٧- **فصول في فقه العربية:** أ.د. رمضان عبد التواب/ دار الجيل – القاهرة، ط٢/ ١٩٨٠م.

٢٨- فقه اللغة وخصائص العربية: أ.د. محمد المبارك/ دار الفكر الحديث – بيروت، ط٢/ ١٩٦٤م.

٢٩- **القاموس المحيط:** مجد الدين الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٠- **الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الشهير بـ«تفسير الزمخشري»:** جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة – بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

٣١- **الكشف والبيان في تفسير القرآن:** أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، النيسابوري (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م.

٣٢- **الكلمة «دراسة لغوية معجمية»:** أ.د. حلمي خليل/ دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٠م.

٣٣- **لسان العرب:** أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، الإفريقي، المصري (ت٧١١هـ)، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٤- **اللغة الشاعرة (مزايا الفنِّ والتبصير في اللغة العربية):** الأُستاذ عباس محمود العقَّاد (ت١٣٨٣هـ)، مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة، ط١/ ١٩٦٠م.

٣٥- **اللغة العربية ومكانتها بين اللغات:** بحث أعدَّه الأُستاذ الدكتور فرحان السليم/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٣٦- **مباحث في علوم القرآن:** أ.د. صبحي الصالح (ت١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين – بيروت، ط١٨، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣٧- **مجاز القرآن:** الحافظ أبو عبيدة معمر بن المثنَّى (ت٢٠٩هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.

٣٨- **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو:** أ.د. مهدي المخزومي/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة، ط٢، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٣٩- **مسائل خلافية في النحو:** أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: محمد خيري الحلواني/ دار الشرق العربي – بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤٠- **المستدرك على الصحيحين:** شيخ المحدِّثين الحاكم النيسابوري، الشافعي (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤١- **مشكل إعراب القرآن:** مكِّي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: ياسين محمد السوَّاس/ دار المأمون للتراث – دمشق، ط٢ (ب. ت).

٤٢- **معاني القرآن:** أبو زكريا الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي النجار/ دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٤٣- **معاني القرآن وإعرابه:** أبو إسحاق الزَّجَّاج النحوي البغدادي (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي/ دار المعارف – القاهرة، ط١/ ١٩٧٨م.

٤٤- **مفاتيح الغيب، الشهير بـ«تفسير الفخر الرازي»، أو «التفسير الكبير»:** فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٥- **المفردات في غريب القرآن:** أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضَّل الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي/ دار القلم – دمشق، والدار الشامية – بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٦- **مناهل العرفان في علوم القرآن:** الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٩٤٨م)، تحقيق: الشيخ سليم الكردي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ب. ت).

٤٧- **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور:** برهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ)، مكتبة آبن تيمية – القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٨- **النهاية في غريب الحديث والأثر:** أبو السعادات مجد الدين بن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي/ المكتبة العلمية – بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٩- **هل توجد في القرآن كلمات معربة؟؟** بحث أعدَّه الأُستاذ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، عن مجلَّة البحوث الإسلامية/ العدد الثامن.